فان الباحث في تاريخ الانسان والمؤرخ والطبيبي يرون في كتاب هذين العالمين مادة لطيفة في الكائنات بهذه البلاد وهذه المباحث طافحة بالفوائد في تاريخ الحضارة خاصة وتاريخ الكائنات عامة .

ضحك منسيه

شعر ابن حزم

قال الفقيه أبو عبدالله الحميدي قال كان لشيخنا الفقيه أبي محمد بن حزم في الشعر والادب نفس واسع وباع طويل وما رأيت أسرع بديهة منه وشعره كثير وقد جمعته على حروف المعجم ومنه ما كتبت عنه

هل الدهر الا ما رأينا وأدركنا ... فجائعه تبقى ولذاته تفنى
اذا امكنت فيه مسرة ساعة ... تولت كمر الطرف واستخلفت حزناً
الى تبعات في المعاد وموقف ... نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم واثم وحسرة ... وفات الذي كنا نقر به عينا
حنين لما ولى وشغل بما أتى ... وغم لما يرجى فعيشك لا يهنا
كأن الذي كنا نسر بكونه ... اذا حققته النفس لفظ بلا معنى

قال وله أيضاً من قصيدة خاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبدالرحمن بن بشير يفخر فيها بالعلم ويذكر أصناف ما علم يقول فيها

انا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي ان مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع ... لجد على ماضاع من ذكري النهب
ولي نحوأ كناف العراق صبابة ... ولا غرو ان يستوحش الكلف الصب

فان ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر وأغلب ماعنه ما تجيء به الكتب
هنالك يدرى ان للبعد قصة وان كاد العلم آفته القرب
فوا عجباً من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب
وإن مكاناً ضاق عني لضيق على انه فيح مذاهبه سهب
وإن رجالا ضيعوني لضيع وإن زماناً لم أنل خصبه سغب

ومنها في الاعتذار في مدح نفسه

ولكن لي في يوسف خير أسوة وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول وقال الحق والصدق إنني حفيظ عليم ماعلى صادق عتب.

وأنشدني لنفسه

لايشمتن حاسدي ان نكبة عرضت فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميتعة وتارة في ذرى تاج على ملك

وأنشدني أيضاً له

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي فروحي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم

وقد كرر أيضاً هذا المعنى فقال :

يقول أخي شجاك رحيل جسم وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له المعاين مطمئن لذا طاب المعاينة الخليل

قال أبو عبدالله الحميدي وقلت له يوماً قال أبو نواس :

عرضن للذي تحب بحب ثم دعه يروضه ابليس

فقال أنت في طريق التحقيق فقال :

أبن قول وجه الحق في نفس سامع ودعه فنور الحق يسري ويشرق
سيؤنسه رتقاً وينسى نفاره كما نسي القيد الموثق مطلق

وأنشدت له (صاحب الذخيرة) أيضاً في ما كان يعتقده من المذهب الظاهر من جملة أبيات يقول فيها :

وذي عذل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أفي حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له اسرفت في اللوم ظاهراً وعندي رد لو أردت طويل
ألم تر أني ظاهري وانني على ما بدا حتى يقوم دليل

وقال هذا الامام الشاعر

قالوا تحفظ فان الناس قد كثرت أقوالهم وأقاويل العدى سخن
فقلت هل عيبهم لي غير أني لا أقول بالرأي اذ في رأيهم فتن
وانني مولع بالنص لست الى سواه انحو ولا في نصره اهن
لا انثني نحو آراء يقال بها في الدين بل حسبي القرآن والسنن
يا برد ذا القول في قلبي وفي كبدي وياسروري به لو انهم فطنوا
دعهم يعضوا على صم الحصا كمداً من مات من قوله عندي له كفن
اني لاعجب من شأني وشأنهم واحسرتا انني بالناس ممتحن
ما إن قصدت لأمر قط اطلبه الا وطارت به الاظعان والسفن
اما لهم شغل عني فيشغلهم أي كلهم بي مشغول ومرتهن
كأن ذكري تسبيح به أمروا فليس يغفل عني منهم لسن
ان غبت عن لحظهم ماجوا بغيظهم حتى اذا مارأوني طالعاً سكنوا
دعوا الفضول وهبوا للبيان نكي يدري مقيم على الحسنى ومفتتن

وحسبي الله في بدء وفي عقب ... بذكره تدفع الضراء والاحن

وقال : بلغت من لذة الدنيا ذرى أربي ... في لذة العيش والسلطان والنشب

فاذهبت دول الايام منزلتي ... وزاد فقدي للذات في كربي

وكان مالي لهذا كله تبعاً ... بل صار عوناً لاعدائي على طلبي

لكن رجعت وقد جد الزمان الى ... كنز من العلم والاخلاق والادب

فاعجز الدهر ان يودي بواحدة ... منها واقصر عني واهي السبب

لا اختشى تضع الايام منزلتي ... مدى الزمان وعندي اغلب الطلب

لا يستطيعون عذلي عن ولايتها ... اذ كل وال لهم بالعزل في العقب

هذا بلا كلفة مني ولا حرس ... ولا عديد ولا إنفاق مكتسب

وكل من كان في دنياي يصحبني ... ناديته حين سانتني فلم يجب

كلام من جرب الامرين واتضحت ... له المذاهب من جد ومن لعب

انا ابن من دبر الدنيا بخاتمه ... عشرين عاماً وعشر بعد لم يرب

وان منزلتي في العلم منزلة ... في الملك حظ كحظ الصادق النسب

مازلت اذخره دهري وانفقة ... (دأبا) كمثل اللجين المحض والذهب

وانني لبخيل بالسلام اذا ... بخلت بالعلم من لفظي ومن كتبي

لو استطعت منحت الناس كلهم ... ماقد تجمع في حفظي وفي كتبي

أأبذل المال يفني البذل حاصله ... ولست ابذل ماينمى على النهب

سائل بأي علوم العالمين تجد ... عندي ينابيع ذاك العلم من كتبي